بعض الخواطر عن العبادات عند قدماء المصريين

محاضرة

للأستاذة الدكتورة

نفيسه عبد الفتاح شاش

أستاذ الأدب المقارن والترجمة بقسم اللغة الفرنسية وآدابها

بكلية الآداب ـ جامعة الأسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتقد الكثيرون أن قدماء المصريين " متعددى الآلهة " ولكنهم فى حقيقة الأمر كانو يلجأون فى عبادتهم إلى رموز شتى تم تفسيرها بعد إكتشاف أسرار الكتابة الهيروغليفية التى كانت مدونة على جدران المعابد وأوراق البردى وغيرها - وقد أشار العديد منها إلى تلك العبادات التى مارسها الفراعنة على مدى آلاف السنين والتى كانت مرتبطة بالعهود التاريخية والقيادات الحكامية فى تلك الأونة .

وقد ظهرت العبادات عند الفراعنة فى قالب مميز مرتبطا ارتباطا وثيقا بأشكال متعدد منها الحيوان والنبات وغيرها - وترمز فى كثير من الأحيان إلى القوى الطبيعية من سماء وأرض وشمس وقمر وطيور وزهو ... إلخ .

واهتم قدماء المصريين منذ بادئ الخليقة بالأرض التي أطلقوا عليها إسم الالاهة الام التى تحتضن كل من الحيوان والنبات والإنسان ثم نظروا إلي السماء التى تضم الكواكب والشمس والقمر ومن ثم أصبحت السماء والأرض هما القوتين الهائلتين اللتين تهيمنان على كل ما براه الإنسان المصرى القديم فى هذا الكون العظيم .

ويلاحظ أن كل هذه المخلوقات لها دوراً هاماً وفعالاً فى عبادات هذه الشعوب العريقة - ويقول المفكر الكبير GASTON BACHELARD

" أن الرموز الحيوانية قد تقوم فى كثير من الأحيان بترجمة الأحاسيس الدفينة والكامنة فى الخيال البشرى وتعبر عن مدى تحمل هذه الأحاسيس لمايواجهها من صعوبات ولقد كانت مصر الفرعونية تضم العديد من رجال الذين اشتهروا

يواجهها من صعوبات ولقد كانت مصر الفرعونية تضم العديد من رجال الذين اشتهروا

بمعرفتهم العميقة وامتلاكهم مفاتيح اللغة الأولى الخاصة " بعلم الحيوان الإلاهى " "Le bestiaire Divin ".

وجاء بعد ذلك اليهود والكلدانين وغيرهم من الشعوب ليأخذوا هذه المفاتيح - ويقول المؤرخ الفرنسى : ADOLPHE ERMAN

" لقد فقد رجال الدين المصريون تلك المفاتيح الواحد تلو الآخر ولكنهم ظلوا محتفظين بأسرارها " .

وكثيرا مانجد فى عبادات مصر الفرعونية العديد من الحيوانات المقدسة وأشهرها العجل أبيس APIS بمدينة ممفيس والجدى آمون AMON بمدينة طيبة والكبش أوزيرس OSIRIS والتمساح سبع SEBEH والقطة باستت BASTET والصقر حورس HORUS والبقرة هاتور HATHOR والطائر تحت THOT والكلب أو الذئب أنوبيس ANUBIS وثعبان المعابد للعديد من الآلهة الإناث منها والذكور. وكانت القطة لها دوراً هاماً فى هذه الساحة الدينية حيث إنها كانت ترمز للقمر وكانت تظهر الآلهة إيزيس وعلى رأسها شعار القطة المقترن بالهلال القمرى - وكانت بالتالى تعتبر هى المهيمنة على القوى المغناطيسية والحيوية الموجودة على الأرض والصادرة من هذا الكوكب المضيئ الذى كثيرا ما استخدمة السحره فى السحر الأسود من أجل أعمال الشر (ولكنه كان يستخدم أيضا فى بعض أعمال الخير).

وارتبط هذا الحيوان أى القطة فى اللغة الهيروغليفية المقدسة بأحرف كلمة الأم لانه كان دائم الإتصال بالعالم الساكن لكوكب القمر الذى يعتبر مصدر الأمومة والإنجاب .

وأصبحت القطة رمزا للعديد من الألهة الإناث وأشهرهن إيزيس وباستت وكانت لهذه الألهة طقوس تقام فى المعابد المخصصة لكل منها .

ونرى أيضا حيوان آخر يرأس الطقوس الجنائزية ويبدو فى شكل ذئب أو كلب هو أنوبيس ANUBIS وكان يختص برسالة العالم الآخر إلى جوار إلاه الموتى ومن خلال هذه الرموز تنعكس لنا صورة العجل أبيس والبقرة هاتور وهما يرمزان إلى تنظيم العالم والسهر على أمنه وأمانه وصحته كما جاء في

كتابات :FRANCOIS DAUMAS

ورمزت هذه الحيوانات لاوزيريس الذى أطلق عليه إسم "أوزيريس الإله الأخضر " وإيزيس التى سميت " إيزيس الالاهه السواء " وهذه الألوان تعبر عن الأرض الخصبة وأيضا عن السحاب المكتظ بالمياه - وبالتالى أصبح العجل والبقرة هما شعار الأعمال الزراعية والأرض الخصبة التى ترتوى بمياه الأمطار فتنمو وتأتى بالثمرات والخيرات وحينئذ تقام الإحتفالات الدينية وتتلى التراتيل وتعد الطقوس الكثيرة .

ويحدثنا الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد أستاذ التاريخ القديم والآثار عن تلك البقرة فيثبت أنها هى التى ذكرت فى القرآن الكريم فى الآية فى ٦٩ من سورة البقرة ويقول الحق تبارك وتعالى " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - بسم الله الرحمن الرحيم - إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين " .

ذلك لأن المصريون القدماء كانو يصنعون لها تماثيل مغطاه بالذهب حيث أن اللون الأصفر والذهب بالذات يرمزان إلى الخلود طبقا للإعتقادات الفرعونية كما جاء فى كتاب رموز الألوان فى العصور القديمة والوسيطة والحديثةلفريد بريك بورتالد FREDERIQVE PORTAL

2

وتبدو لنا صورة أخرى للعبادات من خلال صورة الثعبان الذى كثيرا ما اقترن بصورة المرأة طبقا لكتابات المحلل النفسى GASTON BACHELARD ولكن كتاب الموتى يوضح لنا أنه كان يرتبط ايضا بصورة الرجل .

فقد كان قدماء المصريين يعتقدون أن أول كائن خلق على وجه الأرض وقام بعبادة الإله رع هو الثعبان مما جعلهم يتوجون به رؤوس ملوكهم .

ويرمز الثعبان إلى القوى الإلهية التى ترتفع وتعلو من أجل إيقاظ المعرفة .

وتعبر صورة الثعبان عن الخير تارة وعن الشر تارة أخرى فنجد الثعبان يورايوس URAEUS رمزا للقوى الخارقة والثعبان أبوبيس APOPIS رمزاً للعداء فهو عدو الاله رع RE وتأتى صورة ثالثة هى صورة الثعبان أوربورس OURO BOROS الذى يرمز للقوى المغناطيسية التى تحيط بالكره الأرضية والتى يهتم بها علماء الغيبيات .

ويشير المفكر الفرنسى جاستون باشلار إلى أن الثعبان يرمز إلي القوى الخالدة التى تتجدد وتبعث من جديد وذلك ربما يرجع إلي طبيعة الثعبان فى إمكانياته فى تغيير وتجديد جلده .

ونلاحظ أن صورة الثعبان كثيرا ما تقترن عند الفراعنة بصورة الطيور كالصقر أو العنقاء. والصقر حورس وهو إله الزكاء والموهبة. أما طائر العنقاء ، وقد انقرض الآن فقد كان يرمز هو الآخر للزمن المتجدد والبعث والخلود .فهو رمز الحياة الأبدية بضد أن الموت ماهو إلا مرحلة إنتقالية تأتى بعدها الحياة الحقيقية المشرقة بالأمل والتفاؤل والسعادة والخير كما جاء فى كتاباتهم .

وتعد هذه الأمثلة بعض ما استخدم فى العبادات الفرعونية من حيوانات أو طيور .

أما النبات فقد كان هو الآخر من أهم الألهة التى تقام لها الطقوس والعبادات المختلفة ولوحظ أن قدماء المصريين كانو يؤلهون كل ما هو مفيد وفعال .

وقال الكاتب الفرنسي جيراردى نرڤال عندما زار مصر فى القرن الماضى .

" ظلت زكريات مصر القديمة قوية فى نفسى لدرجة أننى كنت كثيرا ما أخشى خدش أى نبات من النباتات فلربما جرحت إلاها بداخله " [1] .

وكان رجال الدين الفراعنة يتحاشوا أكل بعضها مثل الثوم أو البصل بسبب أهميتهم فى التحنيط وفى طرد الأرواح الشريره وكذلك فى الطب فقد كان يستخدم البصل كمنعش ولين ومهضم ويشفى من امراض وأشياء كثيره مثل عضه الكلب ولدغة العقرب وإذا وضع أمام حجر من حجور الافاعى كان يمنعه من الخروج منه .

وكثيراً ما نرى فى النقوش الواضحة على جدران المعابد وخاصة فى معبد آمون رع بالكرنك فى مدينة الأقصر بعض المشاهد التى تبين أهمية هذا النبات .فقد كان يقدم كقربان إلى أوزيريس .

وأوضح لنا PLINE المفكر الأثينى القديم الذى عرف بكتاباته الشهيره عن التاريخ الطبيعى والمدونة فى ٣٧ مجلد والتى تعتبر من أهم الموسوعات العلمية عن القدماء أن قدماء المصريين كانوا تعتبر البصل والثوم من أهم ما يقسم به من بين الألهه - وها نحن الآن فى أواخر القرن العشرين نقوم بالعديد من الأبحاث والاكتشافات التي تؤكد أهمية هذه النباتات فى علاج وتفادى الكثيرمن الأمراض.

أما على الصعيد السيكولوجى فالنبات عموماً يعتبر من أهم ما يعبر عن المشاعر وكذلك عن الرغبة فى العودة إلى الماضى وكذلك العودة إلى الحياة .

---

(1)GERAR DE NERVAL -VOYAGE EN ORIENT -P.123

ففى مجال النبات اعتبر قدماء المصريين زهرة اللوتس رمزا حيا للمولد وللبعث وكانت هذه الزهرة لديهم هى شعار المولود الأول الذى نشأ من وسط المياه الأولى LES EAUX PRIMORDIALES وهو أوزيريس وتقول الأساطير أنه الابن الأول للشمس وأنه المولود الأول الذى ظهر فى مصر وكان متربعا فوق زهرة من زهور اللوتس .

ويعتبر أوزيريس بالفعل أول نبى أو رسول جاء على الأرض بعد أدم عليه السلام ليرفع لواء الوحدانية كما جاء فى القرآن الكريم .هذا الكتاب المجيد الذى يحمل الكثير والكثير من المعانى والذى يمدنا بالمعلومات الفياضة التى لا تجف ولا تنضب على مدى العصور - فقد قال الحق تبارك وتعالى فى سورة مريم

(الآية ٥٦ ، ٥٧).

" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

بسم الله الرحمن الرحيم

واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً (٥٦)

ورفعناه مكاناً عليا (٥٧) .

فلنتوقف قليلا هنا لتوضيح معانى هذه الآيات الكريمة -قد نلاحظ أن التشابه بين الاسمين أدريس وأوزيريس قائما بالفعل كما قال فضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى فى موسوعة الجواهر فى تفسير القرآن الكريم أن كلمة أدريس فى تعريب لكلمة أوزيريس (صـ ٤١) وهذا الاسم فى الآثار المصرية ألف له المصريين القدماء رواية خلدت بسبب أول نوع من الكبائر إلا وهو الحسد الذى بدأ يتغلغل فى نفس اخيه ست الذى قام بتقطيع جسده إلي عدة قطع ، وألقى بها فى أنحاء مصر والتى قامت بعد ذلك زوجته وأخته ايزيس بجمعها

وتحنيطها ومن هنا بدأ التحنيط عند قدماء المصريين ، وهو من أهم العلوم التى ظلت حتي الآن محور المناقشات والابحاث العديدة من أجل معرفة أسرارها .

وكان هذا الملك أول من علم المصريين العلوم والمعارف وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من اتخذ السلاح وأول من نظر فى علم الحساب ومما يتوضح من كلمة " إنه كان صديقاً نبيا " وصفه بالصدق وهو أهم أوصافه . والصديق هو كثير الصدق والتصديق . وكلمة نبيا تبين لنا موقف هذا الرسول الذى أنعم الله عليه بنعم دنيوية وأخروية من ذرية آدم . وتشير هذه السورة الكريمة إلى العديد من الرسل والأنبياء فى هذه الساحة الدينية الهائلة مما يعد من اعجاز القرآن الكريم .

(ادريس ونوح وممن حملنا مع نوح) أولاده سام وحام - سام من ذرية إبراهيم عليه السلام ومن ذرية إبراهيم اسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن ذريته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى و سيدنا محمد ﷺ .

أما عن قول الله تعالى " ورفعناه مكانا عليا " فتتوضح لنا معنيان :

الأول : أن إدريس أو أوزيريس لم يمت بعد تقطيع جسده ولكن ظل حيا ورفع إلى السماء وظل يتابع أعماله فى الأرض ويحكم فيها وكذلك فى السماء مما جعل المصريون يطلقون عليه إلاه الموتى .

والثانى : أن هذا الملك تمكن بمعارفه الكثيره أن يرتقى بالأمة المصرية فيجعلها ترتفع وتنفع الأمم وتهذب الأجيال وتظل شامخه أبدا الدهر .

وقد يتضح لنا ايضا فى كثير من المخطوطات الهيروغليفية منذ عهد أوزيريس فى العصر الفرعونى القديم اثباتات قوية على وحدانية الله سبحانه وتعالي وأن - العبادة الحقيقية كانت لله الأعظم والذى كانت تطلق عليه أسماء شتى وهنا يظهر المعنى الحقيقى لكلمة " الاه " عند الفراعنة التي استخدمت للطيور

أو للحيوانات أو النباتات أو غيرها .

هذه الكلمة ما هى إلا لفظ تكريم أو تفخيم أو تكبير لكل ما كان جدير بالإحترام أو مهابا لخشيته - وبالتالى تصبح كلمة إلاه مرادفاً للقب " سمو " أو " معالى" أو " سعاد " أو فخامة " .

أما الإله الأكبر فكانت له مكانة واضحة وثابته فى العديد من المخطوطات . وقد وجد العديد من النصوص التي تدل على ذلك وكانوا يطلقون عليه أسماء كثيرة مثل :

AMON , ATON , ATOUM , RÊ ...

ويشبهونه بالشمس أو الصقر أو الأم أو الفنان أو الراعى أو غيرها من المسميات المختلفة .

فتقول بعض النصوص الهيروغليفية :

السلام عليك ياشمس النهار التي خلقت الإنسان وجعلتيه يعيش ويحيا
ياأيها النسر القوى ذو الريش الجميل الذى جاء إلى الوجود ليرفعه معه .

وجاء إلي الوجود بقوته وقدرته ولم يلده أحد

وخلقت الكائنات كلها من أصغرها إلى أكبرها

انت الأم العظيمة التى جاءت بالآلهة والبشر

أنت الفنان الماهر الذى لم يكل من أعمال لا تحصى

أنت الراعى القوى الذى يرعى كل من حوله .

وقد وجد أيضا مدونا على أوراق البردى وعلى جدران المعابد والأهرامات

منذ عصر أوزيريس هذه المعاني :

" عندما لا يستطيع الإنسان تحقيق رغبته

فـــان إراده اللـــه هـــى التـــي تتحـــقـــق..."

"لا تبخـــل علـــى الفقـــير بأمـوالـــك

فهـــى هبـــه من اللـــه الـذى أعطاهـــا لك ..."

"ولا تحـــث والـــدتـك علـــى الغضـــب

فقـد ترفع يديها إلى الله فيستجاب دعاؤها..."

" القليـــل الـذى يمنحـــك اللـــه حلالا طيبـــا

أفضل من الالاف التي تحصل عليها بالحرام ..."

" إن اللـــه يفضـــل من يحـــترم الفقـــير

عـــلـــى مـــن يبـخـــل الـغـــنى ... " (١)

إذن فالعديد من المخطوطات الهيروغليفية أشارت منذ بداية الخليقة إلي وحدانية الله سبحانه وتعالى وظل المؤرخين أمثال

ETIENNE DAIOTON, AODLPHE ERMAN ,RICHARD PATRICK, VAN

DE WALLE SACAVES ,JACQUES -VANDIER

وغيرهم . يتساءلون عما إذا كان قدماء المصريون متعددى الألهة أو كانوا يؤمنون بالإله الواحد الأحد ؟

(1)FRANCIS -DAUMAS-LA CIVILISATION -PHARAONIQUE.PARIS

ويقول : FRANCOIS DAUMAS أن التشابه بين ما حملته بعض المخطوطات الهيروغليفية وبين ما جاء فى الكتب المقدسة كالعهد القديم والإنجيل ليس ببعيد .

وهاهى بعض المعانى التى ترجمت على لسان الإله الأكبر " قبل أى وجود كنت أنا موجود أنا الذى خلقت الخلق فى وحدانيتى قبل أى وجود وأسمى هو " HEKA " ونلاحظ أن كلمة HEKA قريبة بالفعل من كلمة " حق " أوالحق

وكان كبار المفكرين والكهنة الفراعنة يشيرون إلى أ ن" HEKA " أو الحق موجود بالنسبة للحياة المنطقية ولا يجوز إظهاره فى شكل معين فكثيرا ما كان يذكر على هيئة قوة هائلة أشادوا بها .

أما الطبقات الأخرى من الشعب فلم تستطيع مجاراة هؤلاء ومع مرور الأيام، تمسكوا بالرموز والماديات الملموسة وضلوا الطريق ونسوا الحق ووحدانية الله سبحانه وتعالى .

وينقسم العهد الفرعونى إلى ثلاث عصور : القديم والوسيط والحديث ففى العصر الفرعونى القديم وبالذات فى عصر OSIRIS أجمعت النصوص على وحدانية الله ثم أخذت تتلاشى فى العصر الفرعونى الوسيط ولم تعود إلى صوابها مرة أخرى إلا فى العصر الفرعونى الحديث على أيدى نبى مرسل لم يذكر فى القرآن بل جاء ليحمل لواء الوحدانية ويعيد الأمة إلى الطريق المستقيم مما أثبتته معانى الأية الشريف ١٦٤ من سورة النساء .

" ورسلا قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك "

وجاء أمينوفيس الرابع الذى سمى نفسه أخناتون أى " الذى يرق لأتون " أو " الذى رضى عنه الاله آتون " فحطم الأصنام بداخل المعابد وجعلها بدون أسقف

تعرشها .

وأصبحت الصلاة تقام فى هذه المعابد لا يظلها إلا السماء وقام بالغاء كلمة آلهة وأصبحت لا تذكر إلا فى المفرد :لا أله ألاالله -

وجاءت النقوش توضح هذه المعانى واتخذت الشمس رمزا للاله وجاء على لسان قاضى من القضاه . الكلمات الآتية :

"إننى لم أوذى أحد من البشر ابتغاء رضى الله

وكنت أحكم بالعدل الذى يحبه الله "

ووجد أيضا مكتوبا على المقابر :

" كنت أعمل ما يرضى الله لانني كنت اذكر دائما إني عند موتي سأعود إلي الله"

وتعددت مثل هذه الإتجاهات فى الاسرة الـ ١٨ إلي الأسرة الـ ٢٢ ومن هذا كله يتضح لنا أن التوحيد ظهر فى العصر الفرعونى بل ظهر مع ظهوره أول إنسان على الأرض أي ظل يدوى منذ أدم عليه السلام وعلى مدى العصور .

ثم إلى أوزوريس أو إدريس ثم اخناتون ثم نوح ثم إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وكانوا كل هؤلاء الرسل والأنبياء يحملون لواء الوحدانية وفصلت بينهم فترات زمنية كان الإنسان يبعد فيها عن الحقيقة فيضل الطريق ثم يعود ثانية إلى طريق الحق علي يد رسول يبعثه الله إلى الأرض .

إذن فإن مصر الفرعونية من أوائل من حمل لواء الوحدانية وعبادة الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

****

Bibilioqraphie .

BACHELARD . Gaston . La terre et les reveries du repos.

Paris . José Corti , 1974 .

BALTRUSAITIS , Jurgis . La Quete d' Isis , Essai Sur la

legende d' un mythe . France , Olivirer Perrin . 1967 .

BRIOTON . Etimenne & VALENDIER Jacques , Les peuples de l' Orient mediterranéen. L' Egypte , Paris , Presses Universitaires de France , 1952

CHAMPDOR . Albert , Le Linre des morts , Paris , 1963 .

CHEVALIER . Jean Dictionnaire des Symboles , Tome I I I , Paris, Seghers , 1975 .

DAUMAS , François , La Civilisation de l' Erypt Pharaonigue , Paris , Arthaud , 1971 .

DUCHAUSSOY , Jacques , Le Bestiaire divin ou la Symbolique des animaux , Paris , Edition du Vieux colomier , 1958.

ENCREAZ , O .. " Vivante étoile " in Archives des l' ettres modernes . 1971 , n° 127 .

ERMAN . Adolphe , La reliqion des Egyptiens , Paris , Edition Payot , 1952 .

FRMAN , Adolphe , La reliqion des Eryptiens , Paris , Edidion Payot , 1952 .

FREUD , Prof , Sigmund , Introduction á la psyhanalyse , (Teaduit de l' allemand par le Dr . S . Jankeslevitch) . Paris , petite bibliotheque pqyot . 1962

JACOBI , Jolan , La psychologie de Jung , actualités pédagogiques et psychologiques (Traduction de V . Baillos) Paris , Delachaux et Nics,tlé , 1965 .

MAYSSIS . S ., Mysteres et intiatiions de l' Egypte ancienne . Athenes , B . A . O . A . , 1957 .

NERVAL , Gerard de Les Chiméres - " Vers dores " Edition commentée par Jeanine Moulin , Droz , Lille - Geneve , 1949 .

Voyage en Orient , Paris , Charentier .1851

NERVAL , Gerard de Les I'll umines , " Quintus Aucler " , Paris . Lecou , 1852

PATRICK . Richard , La mythologie Egyptienne , Paris Edition Robert Laffont , 1976

PICHON Jean - Charles . Histoire des mythes Paris , petite bibliothéque Payot , 1971

PORTAL , Fréderic , Des couleurs symbliques dans l'antiquité le moyen - age et le temps moderne , paris , EditionNiclaus , 1938 .

RICARD JeAn , pierre Poésie et Profondeur Paris Editions du Seuil , 1955

RICHER . Jean Gérard de Nerval Paris Edition P. Seghers 1968

SERVIER , J . , L ' homme et l'invisible , Paris , 1964.

VAN DE WALLE , B . , Mythologies de la Méditerranée au Genqe Mythologie Egyptienne , Paris , Larousse , 1963 .

WESTERMARCK , E ., Ritual and Relief in Morocco. London . 2 Volumes . 1926 .